

# اغتيال في القدس:

حزيران ١٩٣٦

ماثيو هيوز

في ظهيرة يوم الجمعة ١٢ حزيران ١٩٣٦ هاجم معلمان فلسطينيان مسلحان قرب باب الأسباط خارج البلدة القديمة في القدس. هما بهجت أبو غربية، وبلغ العشرين من عمره، وسامي الأنصاري، وبلغ الثامنة عشرة من عمره. سيارة تقلّ القائم بأعمال مساعد مدير البوليس البريطاني آلان سيكرست، وحارسه الشرطي البريطاني إدmond دوكسات. وكان هدف المهاجمين الأساسي الضابط رفيع المستوى سيكرست. وليس حارسه دوكسات. جرت محاولة الاغتيال هذه بعد شهرين تقريباً من عمر الثورة العربية في فلسطين. والتي استهدف الثوار الفلسطينيون والعرب خلالها المسؤولين البريطانيين. احتجاجاً على سياسة حكومتهم الداعمة للهجرة والاستيطان اليهودي في البلد. كان سيكرست في جولته التفقدية الاعتيادية للشرطة البريطانية التي تحرس بوابات البلدة القديمة. كما كان اليوم الذي جرت فيه المحاولة هو أيضاً يوم أداء المسلمين لصلاة الجمعة. لذا كان التشديد الأمني البريطاني أكثر من المعتاد. تستذكر سيرين الحسيني، وهي إحدى قريبات الشاب سامي الأنصاري<sup>١</sup> أجواء الحادثة في مذكراتها فتقول: «ووقت اقتراب صلاة الظهر. كانت الشوارع مليئة بالغضب. كما حملت وجوه الرجال والنساء الداخلين عبر أبواب

١ [سيرين ابنة جمال الحسيني. كان جدّها لأمها فيضي العلمي. متزوجاً من أخت الشيخ إبراهيم الأنصاري. والد الشهيد سامي. وأمها السيدة نعمتي هي الأخت الوحيدة لموسى العلمي - ملاحظة من المترجم].

\* عمل ماثيو هيوز محاضراً في دائرة السياسة والتاريخ في جامعة برنل. شغل خلال السنوات ٢٠٠٨-٢٠١٠ كرسي «الجنرال العام ماثيو سي هورنر في النظرية العسكرية في جامعة القوات البحرية الأمريكية».

المسجد الأقصى الهمّ والحنن.<sup>٢</sup>

كان سيكرست يقود سيارة ذات مقود أيسر على الجانب الأيمن من الطريق. حسب النظام المتبع منذ أدخلت السيارات إلى فلسطين في العهد العثماني سنة ١٩١٧<sup>٣</sup>. أي مثل البريطانيين الذين يقودون سياراتهم [داخل بريطانيا] على الجانب الأيسر من الطريق. جلس دوكسات إلى يمين سيكرست في مقعد الراكب. مسلحاً ببندقية تابعة للجيش البريطاني من نوع «لي أنفيلد». فضلاً عن مسدس

٢ Serene Husseini Shahid, *Jerusalem Memories* (Beirut: Naufal, 2000), p. 94.

للاطلاع على تفاصيل وافية حول حادثة إطلاق النار على سيكرست يمكن مراجعة المصدر التالي:

Matthew Hughes, "A History of Violence: The Shooting in Jerusalem of British Assistant Police Superintendent Alan Sigrist, 12 June 1936," *Journal of Contemporary History* 45/4 (October 2010).

٣ قامت مصانع كاولي في المملكة المتحدة بإنتاج سيارات موريس للشرطة البريطانية مع جعل القيادة من اليمين. بيد أنّ سيكرست. حسب ما يتذكر أبو غربية. كان يقود سيارة قيادة من اليسار. وهو أمر ممكن حيث أنّ شركة أوستن كانت تنتج هذا النوع من السيارات. والتي كانت مستعملة على شوارع فلسطين خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين. مقابلة الكاتب مع بهجت أبو غربية في عمّات بتاريخ ٢١ حزيران ٢٠٠٩؛ ورسالة من سامي أبو غربية. ابن بهجت. وكان حاضراً خلال المقابلة. للكاتب بتاريخ ٢٩ تموز. وقد استدعى ضعف النظر عند بهجت إلى أن يكون المراسلات اللاحقة للمقابلة عن طريق ابنه سامي. ومن خلال البريد الإلكتروني. وتظهر الصور المنشورة في جريدة النيويورك تايمز خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين القوات البريطانية وهي تستعمل سيارات مختلطة من نوع القيادة من اليسار ونوع القيادة من اليمين

١ ليمين Palestine: *New York Times* Paris Bureau, RG 306 NT, Boxes 1181, 1184, National Archives and Records Administration II, College Park, Washington DC.

الخدمة. وبينما كان الرجلان ينطلقان مبتعدان عن باب الأسباط بعد زيارة سيكرست إلى ثكنة الشرطة هناك، وعلى طريق أريحا، أطلق المغتالان، واللذان كانا قد تتبعوا جدول سيكرست اليومي، النار عليه. وقد كان عائداً إلى باب الأسباط على المنحدر المؤدي للمقبرة الإسلامية. على بعد بضعة أمتار من المنعطف قبل الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة القديمة. أوجب وجود سيكرست على جانب الطريق من السيارة على القاتلين أن يقفا في منتصف الطريق لإطلاق النار عليه، ولأن كلا الشابين استهدفا سيكرست فقد أفسح هذا المجال مؤقتاً لدوكسات للرد على النيران. اختار القاتلان هذا المكان لأن سيارة سيكرست تبطئ سيرها على المنحدر قبل أن تحوّل طريقها. وحسب ذاكرة بهجت أبو غربية فإنه ورفيقه الأنصاري كانا «هادئين ويسيطران تماماً على الوضع» عندما قاما بالهجوم.

في شهر حزيران ٢٠٠٩، وافق بهجت أبو غربية، وكان قد بلغ الثالثة والتسعين من عمره،<sup>٥</sup> على مقابلة الكاتب في منزله في عمان، بالأردن<sup>٦</sup> وتزودنا ذكريات أبو غربية حين دعمها بما تحفل به السجلات التاريخية المعاصرة للحادثة بمادة مفيدة لرواية معاكسة للرواية البريطانية التقليدية. والتي تركز بشدة على مقولة «إرهاب المتمردين». وسيقوم هذا المقال بعرض الرواية المعاكسة في محاولة لاستكشاف التفاصيل المتنازع عليها حول من هم الذين استخدموا العنف في فلسطين في هذا الوقت ولأي غرض. إن استخدام حادثة إطلاق النار على سيكرست كحالة دراسية يفسح المجال أمام مناقشات أوسع حول العنف الرسمي وغير الرسمي. ويستكمل الدراسات الأكاديمية الأخيرة حول استخدام بريطانيا للقوة المسلحة في فلسطين في هذا الوقت. كما يمكن من إسماع صوت من أطلق عليهم إدوارد سعيد وصف «غير المرئيين وغير المسموعين» من الفلسطينيين الذين قاتلوا البريطانيين في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن

٤ رسالة للكاتب بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩ من سامي أبو غربية (ابن بهجت) وقد كان حاضراً وقت إجراء المقابلة في ٢١ حزيران ٢٠٠٩.

٥ توفي أبو غربية في يوم الخميس ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٢ في عمان عن ٩٦ عاماً [ملاحظة من المترجم].

٦ أجرى الكاتب المقابلة مع بهجت أبو غربية في منزله بعمان بتاريخ ٢١ حزيران ٢٠٠٩.

#### العشرين.<sup>٧</sup>

ينبغي الانتباه مع ما قلناه سابقاً إلى حقيقة أنه للتاريخ الشفوي وللذاكرة مزالق خاصة بهما. وهكذا، فإن رجل بوليس بريطاني خدم في الشرطة البريطانية في فلسطين وعاصر فترة سيكرست (وكان حاضراً في جنازته نحو عشرين سنة مضت [١٩٨٩]). علّق حين قرأ روايتي حول أنشطة سيكرست في القدس متذكراً إياه بأنه كان «رجلاً لطيفاً ويقرب من كونه رجلاً عالمًا»<sup>٨</sup> وهو الوصف الذي يتعارض، كما سيكتشف القارئ فيما سيأتي، مع السرد التاريخي حول عنف سيكرست الذي استهدف الفلسطينيين.

حظي إطلاق النار على سيكرست على ذكر ضئيل في المصادر التاريخية، ولا يبدو هذا مستغرباً نظراً للعدد الكبير من الهجمات التي جرت مستهدفة المسؤولين البريطانيين خلال الثورة في فلسطين. يتم تأريخ حادثة العنف هذه في كتاب توم سيغيف، *فلسطين الواحدة والكاملة* (٢٠٠٠)، بكل بساطة كما يلي: «فتح شاب عربي [الأنصاري] النار على سيارة ضابط شرطة القدس، وأصابه بجراح. رد جندي بريطاني بإطلاق النار فأصاب العربي الذي توفي لاحقاً»<sup>٩</sup> وذكرت جريدة البالستين بوسـت أن الشبان القاتلان اختبأ تحت طريق أريحا قبل الهجوم، وهو ادعاء نقضه أبو غربية حين كتب لاحقاً أنه ورفيقه كانا يسيران في الشارع بصورة علنية ومكتشوفة؛ وفي روايات أخرى أن الشبان قفزا على السيارة، وفي إحدى الروايات قفزا داخلها.<sup>١٠</sup>

٧ Matthew Hughes, 'The Banality of Brutality: British Armed Forces and the Repression of the Arab Revolt in Palestine, 1936-39,' *English Historical Review*, 124, 507 (April 2009), 313-354; Matthew Hughes, 'The Practice and Theory of British Counter-Insurgency: The Histories of the Atrocities at the Palestinian Village of al-Bassa and Halhul, 1938-39,' *Small Wars and Insurgencies*, 20, 3 (September 2009), 528-50.

الاقتباس مأخوذ من مقدمة إدوارد سعيد لكتاب:

Shahid, *Jerusalem Memories*, p. xi.

٨ رسالة للكاتب بتاريخ ٥ أيلول ٢٠٠٩ من إدوارد هورن، والذي كان عضواً في الشرطة الفلسطينية.

٩ Tom Segev, *One Palestine, Complete* (New York: Holt, 2000), pp. 365-66.

١٠ بهجت أبو غربية، في خضم النضال الفلسطيني: مذكرات المناضل بهجت أبو غربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٣، ص. ٧٢-٧٧، ومقابلة الكاتب مع بهجت أبو غربية، سابقة الذكر، ومراسلات لاحقة.

وخلال الصدام أفرغ الأنصاري مسدسه وهرب جرياً. فقد أصابه دوكلات خلال إطلاق النار. ووفقاً لبهجت أبو غربية، فإنّ وجهة الأنصاري في الهرب لم تكن مؤكدة، فهي إمّا كانت باتجاه الجنوب ثم للشرق نحو كنيسة الجثمانية ووادي قدرون. أو إلى الشمال باتجاه وادي الجوز.<sup>١٤</sup> وإدراكاً منه أنّ قافلة شركة البوتاس اليهودية والمعززة بحراسة مسلحة تقترب من الجهة الجنوبية الشرقية، فقد أطلق من مسدسه آخر جولة من الرصاص باتجاه دوكلات، إلا أنّ بعض أو كل الرصاصات التي أطلقها حادت عن الهدف بفعل زجاج السيارة أو هيكل السيارة المحصّنان. تراجع سيكرست في مقعده إلى الوراء عندما أطلقت عليه النار، وارتخت قدماه عن دواسات السيارة. لذلك أخذت السيارة بالرجوع للخلف. وبينما كان دوكلات يطلق النار على الأنصاري قام برفع الفراميل اليدوية لإيقاف السيارة عن التراجع إلى الوراء، وإلى جانبه كان رئيسه الضابط والمصاب بجروح بالغة لا يستهان بها.

## سرد الأحداث

يروي تاريخ الشرطة الفلسطينية أنّ دوكلات تمكن من «القفز خارج» السيارة وإطلاق النار على الأنصاري؛ وحسب تقرير صحيفة معاصرة للحادث فإنّه «سحب» مسدسه وأطلق النار من خلال الزجاج الأمامي للسيارة على واحد من مهاجميه.<sup>١٥</sup> تدرجت السيارة إلى الوراء عن الطريق لمسافة تقدر من ثلاثين إلى خمسين قدماً لتسقط وتستقر في النهاية قائمة في وادٍ صخري، وبداخلها سيكرست ودوكلات المصابان بكدمات شديدة، وكان المحرك لا يزال دائراً.<sup>١٦</sup> ويستذكر أبو غربية أنّ دوكلات كان قد خرج من السيارة قبل أن تنزل إلى الوادي.<sup>١٧</sup> وفي تفاصيل أخرى أشارت صحيفة فلسطين إلى أن دوكلات أصيب في الفخذ، ولكن هذا لا يبدو أنه ناتج عن طلق ناري؛ أما جريدة البالستين بوست

١٤ المصدر السابق نفسه: أبو غربية، في خضم النضال. مصدر سابق، ص. ٧٤-٧٦.

١٥ Edward Horne, *A Job Well Done* [1982] (Sussex: Book Guild, 2003), p. 212; *Palestine Post*, 14 June 1936, p. 1.

١٦ *Palestine Post*, 14 June 1936, p. 4.

١٧ رسالة للكاتب من سامي أبو غربية بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩.

أخفى أبو غربية سلاحه تحت طربوشه. بينما كان مسدس الأنصاري في جيبه، وكان كلا المسدسين آليان. فمسدس أبو غربية إيطالي من نوع بيريتا، ومسدس الأنصاري فرنسي من نوع لافايت.<sup>١٨</sup> أطلق أبو غربية والأنصاري النار معاً مرتين على سيكرست الذي كان داخل السيارة، عن بعد حوالي متر واحد. وأصاباه في صدره وكتفه (أو، على الأرجح، أصاباه من جولة واحدة من إطلاق النار). وكان جرح الكتف أشدّ خطورة. في تلك اللحظات جلس الهدف الثانوي، دوكلات، جنباً إلى جنب مع رئيسه الضابط، وكافح مع بندقيته داخل مكان ضيق في السيارة. وكان أبو غربية والأنصاري قد اتفقا على إطلاق النار ببطء، ولكن دوكلات تمكن من إطلاق النار من مسدسه الذي كان قد جهّزه في وقت سابق حين رأى الرجلين يتسكعان في المنطقة. لذلك صرخ الأنصاري على أبو غربية طالباً إطلاق النار بسرعة أكبر.<sup>١٩</sup> كان دوكلات سريعاً في رد الفعل حينما كان يرد بإطلاق النار في نفس الوقت الذي كان فيه المغتالان يفتحان النار على سيكرست، أو ربما قبل ذلك. وقد أطلق النار في البداية عن يساره عبر رفيقه من خلال النافذة المفتوحة للسيارة. وهو رد فعل حاسم من شأنه أن يكون بالتأكيد قد سبب الطرش لسيكرست.<sup>٢٠</sup> كما تبادل دوكلات والمغتالان الرصاص من خلال الزجاج الأمامي المحطم للسيارة.

*Palestine Post*, "A.S.P. Sigrist Shot, Escapes Death," 14 June 1936, pp. 1, 4;

خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت، ١٩٨٢، الصفحات التي تغطي مذكرات ١٣ حزيران ١٩٣٦؛ أكرم مسلم (محرر)، يوميات خليل السكاكيني: يوميات، رسائل، تأملات. مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، ٢٠٠٦، الجزء السادس، ص. ٢١٢-٢١٣؛

Shahid, *Jerusalem Memories*, p. 94.

١١ حول نوع المسدس أنظر رسالة سامي أبو غربية للكاتب بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩. إن مسألة غطاء الرأس خلال الثورة هي أكثر من كونها مجرد مسألة مظهر. فقد أصرّ النوار على أن يخلع كل الرجال، وكانت هي الغطاء المعهود بين رجال المدن، وأن يلبسوا بدلاً منها الحطة والعقال، وذلك ليسهل على الفلاحين النوار الاختفاء أثناء نشاطهم بسهولة بين العاقّة وبين سكّان المدن. لقد كان هذا الأمر عملاً وطنياً. ولقد كانت عودة الطربوش سنة ١٩٣٩ إشارة واضحة على أن الثورة تقترب من نهايتها. حول هذه القضية راجع:

T. Swedenburg, *Memories of Revolt: The 1936-39 Rebellion and the Palestinian National Past* (Minneapolis: UP Minnesota, 1995), pp. 30ff.

١٢ أبو غربية، في خضم النضال، مصدر سابق، ص. ٧٤.

١٣ رسالة للكاتب من سامي أبو غربية بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩.

فقد قالت أن دوكتسات أصيب بجرح «طفيف» في الرقبة. بالإضافة إلى بعض «الإصابات الأخرى» نجمت عن انحدار السيارة في الوادي.<sup>١٨</sup> نقلت سيارة خاصة سيكرست إلى المستشفى الحكومي في مقر القيادة البريطانية الرئيسي في المجمع الروسي «المسكوبية» في القدس الغربية. حيث سرعان ما انضم إليه دوكتسات. وفي يوم ١٤ حزيران نقل أن سيكرست ودوكتسات كانا «مسرورين» في المستشفى بعد الحادث. وكلاهما تعافى. بيد أن سيكرست لم يعد إلى العمل في الشرطة في فلسطين أبداً. وحسب التقارير فقد كان لا يزال «مسروراً» في الخامس عشر من حزيران حسب ما يقوله الإنجليز: وفي أيلول ١٩٣٦ كان قد عاد لإنجلترا.<sup>١٩</sup> وفي نهاية المطاف فقد عاد للخدمة في الشرطة. ولكن ليس في فلسطين. وقد توفي في ظروف طبيعية في ١ آذار ١٩٨٣. فيكون قد عاش حياة أطول من حياة الأنصاري ولكن ليست أطول من حياة أبو غربية.

تعقب أفراد طاقم قافلة شركة البوتاس وجنود الحراسة الجريح الأنصاري. وأجرت الشرطة بحثاً عنه مستعينة بكلب بوليسي. فكشفوه بسرعة مختبئاً في منزل قريب. وقد توفي في الطريق إلى المستشفى. أو «لاحقاً» في داخلها متأثراً بجروحه.<sup>٢٠</sup> وفي الوقت نفسه، كان أبو غربية في طريقه إلى وادي الجوز. حيث عاد إلى منزل عائلته داخل البلدة القديمة بالقرب من الحرم الشريف عبر حي المصراة وباب الجديد. وذلك في الوقت المناسب للذهاب لأداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى مع شقيقه. واعياً على انتشار حالة الغضب آنذاك.

كيف مات الأنصاري؟ لقد أطلق دوكتسات النار عليه في صدره. وإذا كان قد فعل ذلك باستخدام مسدس الخدمة «ويبلي». فإن هذا المسدس يطلق تسعة عشرة مرة بقوة<sup>٢١</sup>. ولكن الأنصاري كان جريحاً عندما اعتقل. وكان يتلقى الرعاية في المنزل الذي

١٨ جريدة فلسطين. يافا. ١٣ حزيران ١٩٣٦؛

*Palestine Post*, 14 June 1936, p. 1.

١٩ *Palestine Post*, 14 June 1936, p. 4, 15 June p. 5 and 14 September 1936, p. 3.

٢٠ Ibid., 14 June 1936, p. 4;

جريدة فلسطين. ١٣ حزيران ١٩٣٦.

٢١ كانت رجال الشرطة مسلحين بمسدسات ويبلي. إنفلد. أو سميت وويسون. من رسالة للكاتب من جون فوستر (جمعية الرفاق القدامى من أعضاء الشرطة الفلسطينية) بتاريخ ٢٥ تموز ٢٠٠٩.

لجأ إليه من قبل اثنين من الرجال المحليين. وكلاهما تم اعتقاله من قبل السلطات البريطانية أيضاً. يرى أبو غربية أن الأنصاري كان «واعياً» عندما وصل إلى المستشفى.<sup>٢٢</sup> ففي النهاية، انتهى المطاف بالأنصاري في المستشفى الحكومي جنباً إلى جنب مع سيكرست ودوكتسات. ويروي أبو غربية تفاصيل تفيد بأن الجنود البريطانيين ألقوا بالأنصاري بعد القبض عليه في الجزء الخلفي من الشاحنة وحرموه من الإسعافات الأولية. وقد أبلغ الأنصاري المحققين من مكتب التحقيقات الجنائية (سي أي دي) والذين أسرعوا إليه بالمستشفى لاستجوابه. أنه قام بالعمل بمفرده. وهو أمر لا بد أنهم كانوا يعرفون أنه غير صحيح.<sup>٢٣</sup> لقد سجل المرئي والكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني في يومياته كيف أن الجنود انهالوا بالضرب على الأنصاري بأعقاب البنادق في الشاحنة التي نقلته للمستشفى.<sup>٢٤</sup> وقد يكون هذا صحيحاً حيث أن البوليس قام خلال الثورة وعبر كافة أنحاء فلسطين بتعذيب واغتيال المتهمين بالاشتراك في الثورة.<sup>٢٥</sup> وعلى سبيل المثال فإن رجل البوليس البريطاني سيدني بَر (Sydney Burr) أبلغ والديه أن عدداً من زملائه كانوا متعبين من النظام القانوني فقاموا بعمليات تصفية جسدية خارج القانون. وقاموا أيضاً «بقتل متهمين كانوا خارج قبضتهم».<sup>٢٦</sup> وقد اعترف ضابط البوليس جون بريانس. والذي أصبح لاحقاً مدير قسم التحقيقات الجنائية (سي أي دي). في رسالة أرسلها لأُمّه أن زملاءه أعدموا على المحل ثائراً قبضوا عليه سنة ١٩٣٨.<sup>٢٧</sup>

٢٢ رسالة للكاتب من سامي أبو غربية بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩. انظر أيضاً

*Haaretz [The Land]* (Tel Aviv), 14 June 1936, morning issue.

٢٣ أبو غربية. في خضم النضال. ص. ٧٥.

٢٤ خليل السكاكيني. كذا أنا يا دنيا. الصفحات التي تغطي يومية ١٣ حزيران ١٩٣٦.

٢٥ انظر الملاحظة رقة ٨ أعلاه.

٢٦ Letter, Burr to Parents, 19 Dec. 1937, Burr papers, 88/8/1, I[mperial] W[ar] M[useum] D[ocuments] London.

٢٧ Letter, Briance to Mother, 14 May 1938, Briance papers, in possession of Mrs Prunella Briance.

## لماذا استهدف أبو غربية والأنصاري سيكرست؟

كما سبق ذكره. فخلال الثورة هاجم الفلسطينيون ضباط الشرطة البريطانية والجنود والمسؤولين. بمن فيهم ضحايا رفيعو المستوى مثل مفتش الشرطة البريطانية العام ر. ج. ب. سبايسر الذي نجا بصعوبة في ١٩٣٧ من محاولة اغتيال. عندما أفرغ من كان يمكن أن يكون قاتله مسدسه في سيارته. من مسافة قريبة جداً. وذلك عندما كان يقودها عبر بوابة المجمع الروسي (المسكوبية) في القدس<sup>٢٨</sup>. وفي ٢٨ أيار ١٩٣٦. قتل الثوار داخل مدينة القدس القديمة الشرطي البريطاني روبرت (أو رونالد) بيرد بإطلاق ثلاثة أعيرة نارية من نافذة إحدى المباني. وقد اخترقت واحدة من الطلقات قلبه<sup>٢٩</sup>. وفي ذات الوقت الذي تم فيه إطلاق النار على سيكرست حاول الثوار قتل ج. آ. م. فارادي. نائب المراقب العام [للشرطة] في الناصرة<sup>٣٠</sup>. بالتأكيد. فإن كون الشخص مسؤولاً بريطانياً يجعله هدفاً للقتل. ولكن في الحقيقة فإن الثوار الفلسطينيين ميزوا بين المسؤولين البريطانيين. فقاموا بشكل خاص باختيار رموز السلطة المكروهين. مثل المناصر للصهيونية مساعد الحاكم العام لمنطقة الجليل. لويس أندروز. الذي قتل بالرصاص لدى مغادرته الكنيسة في الناصرة يوم ٢٦ أيلول ١٩٣٧. وفي جنين أطلق نائر يوم ٢٤ آب ١٩٣٨ النار تسع مرات على القائم بأعمال مساعد حاكم القضاء. دبليو إس إس موفاث وقتله. وكان «معروفاً بسلوكه السيئ». فهو الرجل الذي. حسب أقوال أبو غربية. صفّ القرويين الفلسطينيين خلال الثورة. وقتل الرجل الأخير من كل خمسة في الصف. بحجة أن البنادق المخبأة في القرية لم يتم إخراجها وتسليمها للسلطات<sup>٣١</sup>. في

حالة موفاث فقد تمكنت السلطات البريطانية من القبض على القاتل بسرعة بعد عملية القتل. وكان على ما يبدو. رجلاً أحذب وأشقر. أي أنه في الواقع كان واضح المعالم جداً. بعد ذلك. وكما حدث في حالة الأنصاري. فقد توفي في الحجز. أثناء محاولته للهروب. على الرغم من عجزه ومن كونه محاطا بجنود بريطانيين شبان أقوياء<sup>٣٢</sup>. إن عبارة «أطلق عليه الرصاص أثناء محاولة الهرب» هي العبارة المتكررة في الملفات البريطانية. ثم مرة أخرى أطلق العرب لقب «محمد» و«غزال» على قاتل موفاث. لأنه كان رشيقاً للغاية<sup>٣٣</sup>. (تروي الملفات اليهودية في أرشيف الهاغانا قصة مثيرة تقول أن الذي قتل موفاث. علي محمد المحمود. ارتدى ملابس أظهرته كالأحذب. تاركاً أحذب جنين الحقيقي لمواجهة الموسيقي. فقد أطلق الجنود البريطانيون النار على الأحذب «الحقيقي» البري)<sup>٣٤</sup>.

وبالمثل. يستذكر أبو غربية في مذكراته. كيف أنه بعد حوالي أربعين يوماً من محاولة اغتيال سيكرست قام بمهاجمة اثنين من ضباط سلاح الجو الملكي البريطاني. بالقرب من نفس مكان هجوم ١٢ حزيران [على سيكرست]. مطلقاً النار عليهما من مسدس كان مخبأً داخل طربوشه<sup>٣٥</sup>. وكان هذا إشارة إلى حادث إطلاق النار من قبل «مجهول الهوية» على «وايت» وزميله الضابطين على طريق أريحا بالقرب من كنيسة الجثمانية في ١٠ آب ١٩٣٦. مات الضابط وايت. بينما أصيب الرجل الآخر بجروح. بوضوح كبير. يدعي أبو غربية أنه اختار الرجلين بسبب قيام سلاح الجو الملكي البريطاني بقصف الثوار في ريف فلسطين. في الواقع. وقبل الهجوم عليهما. كان أبو غربية قد فكّر

<sup>٣٢</sup> Telegram to Secretary of State, n.d., S25/22762, Central Zionist Archive, Jerusalem; *Haaretz*, 26 August 1936.

لقد دفن أندروز وبيرد مع عدد كبير من رجال الشرطة البريطانيين في مقبرة البروتستانت على جبل صهيون بالقدس. أما موفاث فقد دفن في المقبرة البريطانية الصغيرة وغير المعننى بها في حيفا.

<sup>٣٣</sup> زعتر. مصدر سابق. ص. ٤٢٨.

<sup>٣٤</sup> Intelligence Report, 3 January 1939, p. 174, 8/ General/2, Haganah Archive, Tel Aviv.

<sup>٣٥</sup> أبو غربية. في خضم النضال. ص. ٧٨-٧٩. ومراسلة مع سامي أبو غربية. مصدر سبق ذكره.

<sup>٣٦</sup> "RAF Man Killed Outside of Old City," *Palestine Post*, 11 August 1936.

<sup>٢٨</sup> Geoffrey Morton, *Just the Job: Some Experiences of a Colonial Policeman* (London: Hodder & Stoughton, 1957), p. 57.

<sup>٢٩</sup> *Palestine Post*, 29 May 1936, pp. 1, 9.

<sup>٣٠</sup> *Davar [Issue]* (Tel Aviv), 14 June 1936.

<sup>٣١</sup> زعتر. أكرم. الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥-١٩٣٩. يوميات أكرم زعتر مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ١٩٩٢. ص. ٤٣٨. جريدة هارتس. ٢٦-٢٥ حزيران ١٩٣٨. جريدة دافار ٢٥ حزيران ١٩٣٨. مقابلة مع بهجت أبو غربية بعمان. ٢١ حزيران ٢٠٠٩. يحدد مورتن الهجوم على موفاث في ٢٣ آب ١٩٣٨ (Morton, *Just the Job*, p. 73).

باستهداف محل نجارة يهودي في البلدة القديمة. بالقرب من بيت الأنصاري. ولكنه غيّر فكرته في وقت لاحق. «لأن الإنجليز هم العدو الرئيسي»<sup>٣٧</sup>. فالهدف يجب أن يكون إنجليزياً لأنهم يتحملون المسؤولية عن عمليات القتل.<sup>٣٨</sup> مرة أخرى. ومع وفاة الشرطي بيرد في ٢٨ أيار ١٩٣٦. فإن واحداً من الرجال الذين اعتقلوا بتهمة القتل كان أحد الأقرباء الحميين لمقدسي أطلقت عليه الشرطة البريطانية النار وقتلته في الأسبوع الماضي عند باب الأسباط.<sup>٣٩</sup> وما نقرحه هنا هو أن موت بيرد كان عملية انتقام مدروسة ومخططة. وأن هجوم أبو غربية والأنصاري على سيكرست كان لوحشيته. ولا سيما تجاه العرب المقدسين.<sup>٤٠</sup>

## تكتيكات سيكرست

تصرف أبو غربية والأنصاري وحدهما وباستقلال تام عن رجال اللجنة العربية العليا. لقد كان هجومهما هجوماً انتقامياً جماعياً من قبل المقدسين ضد الضابط الذي اشتهر في أنحاء المدينة بهجماته على سكانها العرب بهراوته الوحشية. حتى «تم كسر أضلاعهم». بما في ذلك ضرب موظفي مكاتب جريدة الدفاع في ٣١ أيار ١٩٣٦. لقد قام سيكرست باعتداءات عشوائية على المارة العربي. بما في ذلك اعتدائه خارج باب العمود بالقرب من مدرسة شميدت (وقد تحولت في عام ١٩٣٦ إلى مكتب حكومي. حسب ما يتذكر أبو غربية) على موظف عربي في الحكومة. امتاز بحسن الهندام. وذلك حين رفض التقاط المسامير التي نثرها الثوار في الشارع على أمل أن تثقب إطارات السيارات.<sup>٤١</sup> لقد قام سيكرست ورجاله بجرح العشرات في هجومهم على مكاتب جريدة الدفاع. وقد كسروا بضربات الهراوة أنف رجل فأصيب إصابةً بالغة وصلت من السوء إلى نقله إلى المستشفى. وهو يقطر دماً

<sup>٣٧</sup> أبو غربية. في خضم النضال. ص. ٧٨-٧٩.

<sup>٣٨</sup> مراسلة مع سامي أبو غربية. مصدر سبق ذكره.

<sup>٣٩</sup> *Palestine Post*, 29 May 1936, pp. 1, 9.

<sup>٤٠</sup> ما لم يتم الإشارة لغير ذلك فإن المعلومات الواردة في هذه الفقرة وبالتالي عليها مأخوذة من المقابلة مع بهجت أبو غربية ومن كتابه في خضم النضال. ص. ٧٥-٧٢.

<sup>٤١</sup> السكاكيني. كذا أنا يا دنيا. مصدر سابق. يومية ١٣ حزيران ١٩٣٦؛ وجريدة الصراط المستقيم. يافا. ١ حزيران ١٩٣٦.

وفي «حالة خطيرة»<sup>٤٢</sup> وفي الوقت نفسه. فقد حطموا نوافذ نادي الرياضة العربية. وفي مناسبة أخرى. فإن إحدى ضربات سيكرست أصابت رجلاً عربياً بارتجاج في المخ. لقد اعتاد المقدسيون على ترك الشوارع عندما كانوا يسمعون أزيز سيارة سيكرست الموريس. وذلك خوفاً من الهجوم الذي كانوا يعرفون بالتأكيد أنه سيأتي وهم في طريقهم. وإذا ما تم مواجهتهم من قبله في العراء. لقد تعلمت فتاة فلسطينية بلغت الستة عشر عاماً أن تذكر اسم سيكرست. كلما لفظ اسمه في كل شارع. وهو الرجل الذي هاجم الناس ذلك «بشراسة» لدرجة أن يكسر أيديهم.<sup>٤٣</sup> كان رجال سيكرست يندفعون في مجموعات من سبعة إلى ثمانية في شوارع البلدة القديمة الضيقة. ويدفعون السكان المحليين جانباً ويجبرونهم على تأدية التحية للشرطة في «عمليات إذلال». وعند أبواب البلدة القديمة كان رجال الشرطة يركلون العرب الداخلين والخارجين ويضربونهم ويلطمونهم على وجوههم. يتذكر أبو غربية أنّ سيكرست كان رجلاً «غير طبيعي» ورجل «مجنون» كسر فكّ عربي و«شوّه مظهره». إضافةً لذلك فإن سيكرست كثّف سلوكه الوحشي بعد مقتل الشرطي «بيرد» في الثامن والعشرين من أيار. ممّا يمكن أن يفسّر الهجوت التالي على مكاتب جريدة الدفاع.<sup>٤٤</sup> لقد كان هناك العديد من الاحتجاجات المحلية على سلوك سيكرست. ممّا دفع سكرتير حزب الاستقلال لمقابلة ج. ه. هاول. السكرتير العام لحكومة الانتداب. لتقديم شكوى حول ما يجري. بيد أن هذه الاحتجاجات والطلبات أي أذان صاغية. لذا فقد أذن المقدسيون سيكرست وأصدر الثوار حكماً عليه بالموت. ولهذا السبب اجتمع أبو غربية والأنصاري في مقبرة باب الأسباط الإسلامية حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح الثاني عشر من حزيران ١٩٣٦ يراقبان سيارة سيكرست وهي تقترب من جهة باب الأسباط.<sup>٤٥</sup> لكن الغضب الشخصي. وهو ما صنّفه روي بوميستر (Roy Baumeister) في دراسته حول الشر على أنه «أناية وانتقام» لعب أيضاً دوراً في قرار أبو غربية والأنصاري باستهداف

<sup>٤٢</sup> جريدة الصراط المستقيم. يافا. ١ حزيران ١٩٣٦.

<sup>٤٣</sup> Shahid, *Jerusalem Memoirs*, pp. 91-92.

<sup>٤٤</sup> جريدة اللواء. القدس. ١ حزيران ١٩٣٦؛ وجريدة الصراط المستقيم. يافا. ١ حزيران ١٩٣٦.

<sup>٤٥</sup> جريدة دافار. ١٤ حزيران ١٩٣٦؛ وجريدة هآرتس. ١٤ حزيران ١٩٣٦. الطبعة الصباحية.



سيكرست.<sup>٤٦</sup> لقد اعتدى أفراد الشرطة على الأنصاري وأصابوه بجراح سيئة. كما أنَّ أبو غربية كان قد تعرّض للإهانة على يد سيكرست ثلاث أو أربع مرّات. وفي إحدى المواجهات كان سيكرست قد صادف أبو غربية في الشارع في القدس وقام بتفتيشه من خلال النافذة المفتوحة. بينما بقي داخل السيارة. وربّت عليه وهو على الرصيف. وقد سأل سيكرست أبو غربية عن وظيفته. ثم خرج من السيارة وهو يقول «اسمح لي». وذلك حتّى يتعد أبو غربية عن باب السيارة ليتمكن سيكرست من فتحه. وقام سيكرست بتفتيش أبو غربية مرة ثانية. حاول أثناءها ضربه على رأسه ولكمه في وجهه. قام أبو غربية بحماية نفسه من الضربات. وحينها ركله سيكرست وثنّى بمحاولة توجيه لكمة أخرى له (إن استعمال اللفظ القديم «يلكمه» في السجلات ربما يكون ناجماً عن الحماسة لرياضة الملاكمة في الجيش والشرطة البريطانيين آنذاك؛ وقد كان أبو غربية أيضاً ملاكماً).<sup>٤٧</sup> ومع وقوع طربوشه على الأرض تراجع أبو غربية للخلف على الرصيف. وحينها وضع سيكرست يده على مسدسه وقال «أذهب من هنا وإلا أطلقت عليك النار».<sup>٤٨</sup> وحيث أنَّ الأنصاري مات ولم يترك أي سجل. على خلاف أبو غربية. فإنّه من الممكن تخمين دوافعه الشخصية. بيد أنَّ له ماضٍ من العنف. فقد قتل ثلاثة يهود في هجوم على سينما أديسون في السادس عشر من أيار ١٩٣٦. وهو هجوم كان كم المقرر أن يشارك فيه أبو غربية. ولكن حظر التجوال الذي فرضته السلطة البريطانية على البلدة القديمة آنذاك حال دون مشاركته.<sup>٤٩</sup>

<sup>٤٦</sup> Roy Baumeister, *Evil: Inside Human Cruelty and Violence* (New York: Freeman, 1997), pp. 128ff.

<sup>٤٧</sup> قد يفسّر هذا العبارة التي عفى عليها الزمن. وكانت مستخدمة في اللغة العبرية الدارجة في الثمانينيات. ولربما كانت من تأثير الإنجليز 'سوف أعطيك لكمة'. (ani etten lekha box ("I'll give you a box").

<sup>٤٨</sup> رسالة للكاتب من سامي أبو غربية بتاريخ ٢٩ تموز ٢٠٠٩.

<sup>٤٩</sup> Segev, *One Palestine, Complete*, pp. 365-66; مسلم. يوميات خليل السكاكيني. مصدر سابق. الجزء السادس. ص. 263: أبو غربية. في خضم النضال. مصدر سابق. ص. ٧١-٦٨. اعتقلت الشرطة البريطانية ثلاثة رجال آخرين بعد حادثة سينما أديسون واتهمتهم بالعملية.

راجع: *Palestine Post*, "Edison Cinema Investigations," 29 May 1936, p. 9.

نسخ من أوامر منع التجول البريطانية معروضة هذه الأيام في قاعة فندق الكولونية الأمريكية بالقدس.

وحسب ذاكرة أبو غربية فإنّ هجوم سينما أديسون كان انتقاماً لمقتل أحد الأصدقاء المقربين. محمود التميمي. والذي اغتاله قتلة يهود خارج منزله.<sup>٥٠</sup> وبالطبع فقد كان أبو غربية والأنصاري شابان يافعان. وهذه ليست مسألة عديمة الأهمية عند مراجعة قرارهما باستخدام القوة الجسدية المباشرة. وهي أيضاً جزء من خلاف أوسع داخل الحركة الوطنية الفلسطينية. بين شبيبة نشطة وفاعلة وبين رجال محافظون يكبرونهم في السن حول أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف السياسية. وهذه المسألة ذات علاقة ومهمة ليس في سياق أحداث ١٩٣٦ بل أيضاً هذه الأيام في خضم الصراع العربي-الإسرائيلي. في العام ١٩٣٦ قام الأنصاري بزيارة أقاربه وجيرانه الحسينيين في حيّ المصراة. حيث قطن الجميع. وخلال الزيارة تواجه مع عمّه جمال الحسيني. والذي كان على أهبة السفر إلى لندن لإجراء مباحثات مع البريطانيين لحل مسألة الثورة. وخلال النقاش. وحسب ما دونته سيرين. ابنة جمال. في مذكراتها. فقد بادر الأنصاري جملاً بالقول «عمّي جمال لقد سئمنا من سياستكم. إنكم تذهبون إلى لندن وتباحثوا هناك. ولكننا سنحاول القيام بعملنا هنا في أرض فلسطين. وتقول سيرين «لقد صعق أبي واصفرّ وجهه. لكنّه تبسّم بعصبية وسأل سامي ولكن من هم 'نحن'؟ وهنا اصفرّ وجه سامي تماماً مثل أبي وأجاب بتحدٍ نحن شباب هذه البلد».<sup>٥١</sup> لو قدر للأنصاري أن يعيش لقام بالتأكيد هو وأبو غربية كفريق بهجمات مسلّحة أخرى. ولأصبحا ما يطلق أطلق عليه الجيل اللاحق «فصائل الريف» المقاتلين من أجل حفظ أمّتهم. متحاشين اعتدال كبار السن السياسي. وقضيتهم السياسية مبررين الهجمات على المسؤولين البريطانيين والمستوطنين اليهود.

<sup>٥٠</sup> مراسلة مع سامي أبو غربية في ٧ آب و ١٠ كانون الأول ٢٠٠٩.

<sup>٥١</sup> Shahid, *Jerusalem Memories*, p. 93.

## خلاصة



سامي ابراهيم الانصاري.

لقد كان سيكرست رجلاً حافِظاً على حكم كولونيالي في فلسطين في أواخر الثلاثينيات. في وقت واجه فيه البريطانيون مقاومة الفلسطينيين ضد الاستعمار. وبغض النظر عن سلوكه فإن سيكرست كرجل شرطة بريطاني كان هدفاً للثوار، إلا أن وحشيته تجاه الفلسطينيين المحليين زادت بصورة كبيرة من إمكانية مهاجمته واغتياله من قبل رجلين، أبو غربية والأنصاري، المندفعين بعوامل عداوية وطاقة شبابية، فقاما بمتابعة سيكرست وملاحظة تحركاته قبل أن يهاجماه في الثاني عشر من حزيران ١٩٣٦. لقد ولدَ عنف سيكرست عنفاً إضافياً، كان هذه المرة موجّهاً ضده. لم يكن إطلاق النار على سيكرست حدثاً عرضياً ناجماً عن قابلية للاعتداء، أو عن مصادفة أو عن ظروف توفر سهولة في تنفيذ عملية. على العكس من ذلك، فقد كانت عملية مقررّة ومخططة مسبقاً ضد مسئول محليّ مكروه من قبل شبّان مصمّمان على فعلهما. لقد كان هجوم الأنصاري وأبو غربية على سيكرست مدفوعاً بعدة عوامل تجمع بين الانتقام الشخصي وبين الرغبة في تخليص القدس من مسئول بريطاني تميّز بالبطش. وكانت الخلفية هي العنف اليومي للثوار وللجنود والشرطة البريطانيين. وقد كان عنف الأخيرين كريهاً، ومنهجياً ومنظماً، وعميقاً، بأكثر ممّا يسمح بتدوينه في السجلات الرسمية، ويجب أن لا نتفاجأ بتصرفات أشخاص من مثل سيكرست أو أبو غربية أو الأنصاري الذين استخدموا العنف من أجل تحقيق أهدافهم النهائية. وبالنسبة للفلسطينيين فإنّ هذا العنف فشل في تحقيق هدفه بإنهاء الهجرة اليهودية والحكمة البريطاني. حتّى لو أنّ إطلاق النار على سيكرست قد أعطى المقدسيين راحةً أبدية من اعتداءاته عليهم. أمّا بالنسبة للبريطانيين فإنّ عنفهم قد نجح في إلحاق الهزيمة بالثورة العربية في العام ١٩٣٩، مفسحاً المجال أمامهم من أجل حشد قواتهم للحرب القادمة في أوروبا ضد ألمانيا، والتي خسروا امبراطوريتهم بعدها بسرعة، بما فيها فلسطين. والتي قاتل رجال مثل سيكرست بقوة من أجل الاحتفاظ بها.

ترجمة سميح حمّودة